جامعة مولاي إسماعيل
UNIVERSITÉ MOULAY ISMAÏL

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
FACULTÉ DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES

شعبة التاريخ

ماستر : تاريخ الهجرات والتحركات السكانية في حوض البحر الأبيض المتوسط

محاضرات في وحدة:

الهجرات والتحركات البشرية خلال الفترة الحديثة ومطلع الفترة المعاصرة

إعداد الأستاذ عبد المالك ناصري

الموسم الجامعي 2019-2020

المحور الأول:

الهجرات والتحركات السكانية من الشمال إلى الجنوب

الهجرات خارج أوروبا: هجرات قسرية وتحركات استعمارية

- فقد الكيانات السياسية الأوربية القوية، ممثلة في المدن الدول، قوتها خلال القرن 15م .
- انتشار هذه الأزمة السياسية في أرجاء المتوسط بسبب عجز الدولة المدينة بأوروبا ، لهشاشتها وضيق رقعتها ، عن الاضطلاع بدورها السياسي والمالي.
- ظهور الدول الأوربية الإقليمية الناشئة بعد إرسائها لمجموعة من المرتكزات والقواعد.
- النموذج الإيطالي:
  - غنى المدن وقوتها أسهم بشكل عكسي في حدوث الانقسام فيما بينها مما أدى إلى ضعفها سياسيا.
  - أضحت لقمة سائغة للأتراك العثمانيين الذين انتصروا في حروبهم ضد البندقية، رغم تفوقها التقني.

- انشطار المتوسط إلى قطبين:
  - شرقي تتزعمه الإمبراطورية العثمانية
  - غربي ممثلا في الإمبراطورية الإسبانية
- نشوب صراع بين القطبين من أجل السيطرة وفرض النفوذ مغلف بنفحة دينية، إسلامية شرقية أو مسيحية صليبية غربية.
- فرضت الوحدة الدينية للإمبراطورية الإسبانية الاستيلاء على غرناطة، وطرد المسلمين من البلاد.
- اقتضى المد الديني العثماني فتح القسطنطينية وإنهاء الوجود المسيحي بها.

- توجه الأوربيين نحو المحيط الأطلنتيكي في إطار حركة الكشوفات الجغرافية.
- كان هذا الإجراء مفروضا عليهم من العثمانيين الذين أضحوا يتحكمون في الحوض الشرقي للمتوسط.
- الحركة هي رد فعل لإيجاد طرق بحرية بديلة للتجارة الأوربية
- أصبح المحيط الأطلنتيكي مركزا للكرة الأرضية منذ ثمانينات القرن السادس عشر بعد تدفق المعادن الأمريكية على البلاد الأوربية.

خريطة توضيحية لحركة الكشوفات الجغرافية

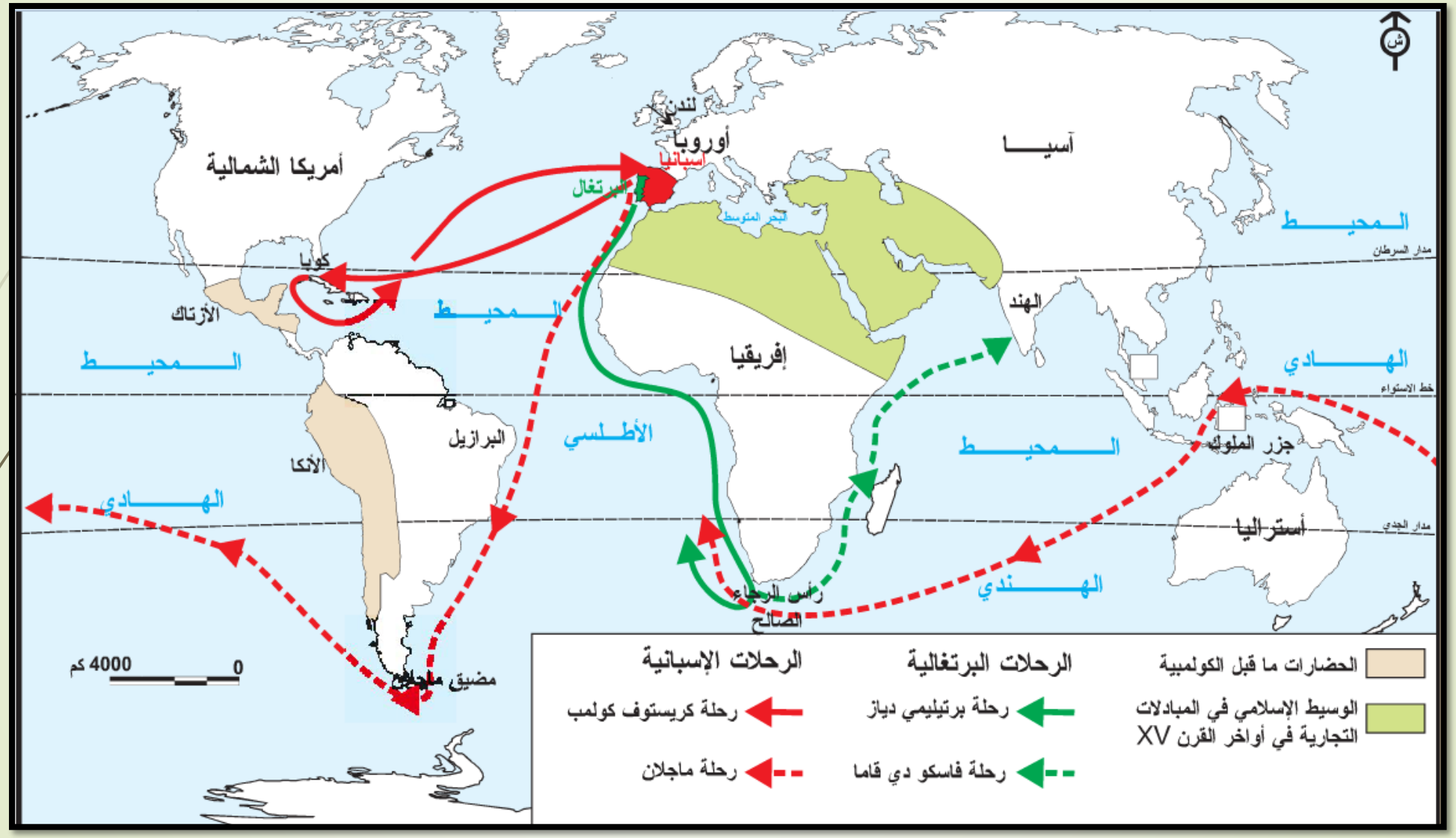

- تحركات الإيبيريين نحو السواحل الإفريقية، سواء المتوسطية أو الأطلنتيكية.
  - أعقب ذلك هجرات محدودة اتخذت من المواقع والمرافئ الساحلية وجهة لها.
- سيطرة العثمانيين على مصر، وامتداد فتوحاتهم إلى الجزائر .
  - تلى ذلك تحركات وهجرات من الضفة الشرقية للمتوسط نحو الضفة الجنوبية.

خلاصة

- حدوث متغيرات، خلال الفترة الحديثة، بحوض البحر الأبيض المتوسط، اختلط فيها السياسي بالاقتصادي والديني بالاجتماعي، أسهمت بشكل كبير في تحركات وهجرات من الشمال نحو الجنوب.
- كانت هذه التحركات والهجرات البشرية محكومة بواقع مفروض وخاضع لنوايا استعمارية من القوى المتحكمة آنذاك في حوض البحر الأبيض المتوسط.

هجرات وتحركات الموريسكيين بين الاضطهاد والاحتضان

- سقوط غرناطة سنة 1492م، بدأت على إثر ذلك عملية التبشير بشكل بطيء بين المسلمين.
- لم يمر غير وقت يسير حتى انطلقت عمليات التنصير الجماعي الإجباري، مما اعتبره المسلمون انتهاكا للمعاهدة التي كانت بينهم وبين المسيحيين.
- لم تكن إجراءات المسيحيين ضد المسلمين مجرد قمع ديني أو سياسي، بل كانت تهدف إلى إلغاء وجود المورسكيين كجماعة مختلفة ثقافيا.
- صدور قرار طرد المورسكيين من الأندلس بعد امتناعهم عن الاندماج، وما ترتب عن ذلك من ردود فعل داخلية وخارجية.

- مواجهة مسلمي إسبانيا الاضطهاد المسيحي ونقض العهود والمواثيق بالثورة والتمرد.
- أخفقت تلك الثورات والتمردات في تحقيق أهدافها، مما أفضى إلى حرب إبادة شاملة ومكشوفة، وضعت الموريسكيين بين اختيارين:
  - التنصير القهري والبقاء بالبلاد
  - الهجرة الجماعية إلى شمال إفريقيا والشام
- صدور قرار يسمح للموريسكيين بالعبور إلى شمال إفريقيا ضمن هجرات فردية أو جماعية.

- واكبت عملية التهجير القسري مجموعة من الإجراءات:
  - إعطاء مهلة ثلاثة أيام لمغادرة البلاد ، ومن تخلف ينفذ فيه حكم الإعدام.
  - حظر حمل المتاع باستثناء بعض الأموال والأشياء الضرورية.
  - شمول القرار جميع الموريسكيين.
  - يحق لأي إسباني كاثوليكي قتل أي موريسكي خالف قرار الطرد.
  - معاقبة كل شخص حمى موريسكيا أو تستر عليه أو أخفاه في منزله.

خلاصة

- إنهاء الوجود الإسلامي بالأندلس يحدث خلخلة كبيرة في المجتمع.
- وقوع هجرات وتحركات بشرية موسعة من الشمال في اتجاه الجنوب والشرق.
- تميزت هذه التحركات والهجرات بشكل عام بطابعها القسري الإجباري.

الأسرى الأوروبيون بين الافتداء والإقامة الدائمة

- وجود أعداد كبيرة من الأسرى الأوربيين بالمغرب خلال الفترة الحديثة.
- كان ذلك من مخلفات الحروب وأنشطة الجهاد البحري التي كان المسلمون يقومون بها سواء في البحر الأبيض المتوسط أو المحيط الأطلنتيكي.
- بدأت الظاهرة مع التوسع الإيبيري بسواحل شمال إفريقيا ، وبطرد المسلمين من الأندلس على إثر حروب الاسترداد.
- إسهام المد العثماني بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط واستيلائه على الجزائر في تنامي عمليات الأسر .

- إقامة هؤلاء الأسرى بسجون موزعة على مختلف المدن المغربية؛ كفاس وتطوان والقصر الكبير والعرائش وأصيلا وسلا ومراكش وشفشاون وغيرها، إلا أن العاصمة مكناسة الزيتون ضمت أكبر عدد منهم.
- عدم استقرار أعداد هؤلاء الأسرى لمجوعة من الاعتبارات منها:
  - نسبة نشاط وتيرة عمليات الجهاد البحري وأهميتها.
  - مدى سرعة أو بطء عمليات افتداء الأسرى التي كان يشرف عليها ديبلوماسيون أو تجار أو رجال دين.

مراكز الاستقرار أو الاندماج الصعب

- إقامة هؤلاء الأسرى بمراكز وسجون لها وضعية خاصة.
- مبالغة بعض الكتابات الأوربية في رسم صورة الأسير بالمغرب.
- صعوبة الاندماج داخل مجتمع مختلف دينيا وثقافيا ، رغم ما حظوا به من معاملة إنسانية:
  - احترام مشاعرهم الدينية والسماح لهم بممارسة شعائرهم بحرية تامة.
  - السماح بتوافد رجال البعثات الدينية الفرنسيسكانية إلى بعض المدن المغربية لمقابلة الأسرى.
  - الترخيص لهم ببناء دور عباداتهم والسماح لهم بممارسة بعض تقاليدهم وعاداتهم.

خلاصة

- أسهم الأسر بشكل كبير في تحركات وهجرات بشرية من الشمال نحو الجنوب.
- صعوبة الاندماج فرضت عدم الاستقرار، مما أدى بدوره إلى هجرات في اتجاه البلاد الأصلية.

المحور الثاني:

الهجرات والتحركات السكانية من الجنوب إلى الشمال

جاليات مغربية مقيمة بالبلاد الإيبيرية خلال الفترة الحديثة

- دخول عدد كبير من المغاربة إلى البلاد الإيبيرية واستقرارهم بالبرتغال في نهاية القرن 15م.
- ارتبطت عمليات التهجير أساسا بالغزو الذي تعرضت له السواحل المغربية.
- معرفة الفترة الحديثة لتحركات وهجرات بشرية موسعة من الضفة الجنوبية للمتوسط نحو الضفة الشمالية.

- استعمال البرتغاليين وسائل مختلفة لتهجير آلاف الأسرى المغاربة إلى بلادهم
- مساهمة ظرفية القرن السادس عشر الميلادي في إرغام عدد كبير من المغاربة على الهجرة، أفرادا وجماعات، إلى شبه الجزيرة الإيبيرية.
- استطاع البرتغاليون مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي إنشاء إمبراطورية شاسعة.
- تمكنهم من إحكام السيطرة على السواحل المغربية من سبتة إلى فونتي.
- انتهاز البرتغاليين لضعف السلطة المركزية بالمغرب والقيام بغارات خاطفة ووحشية على مناطق داخلية.

خريطة الغزو الإيبيري للسواحل المغربية خلال القرنين 15 و16م

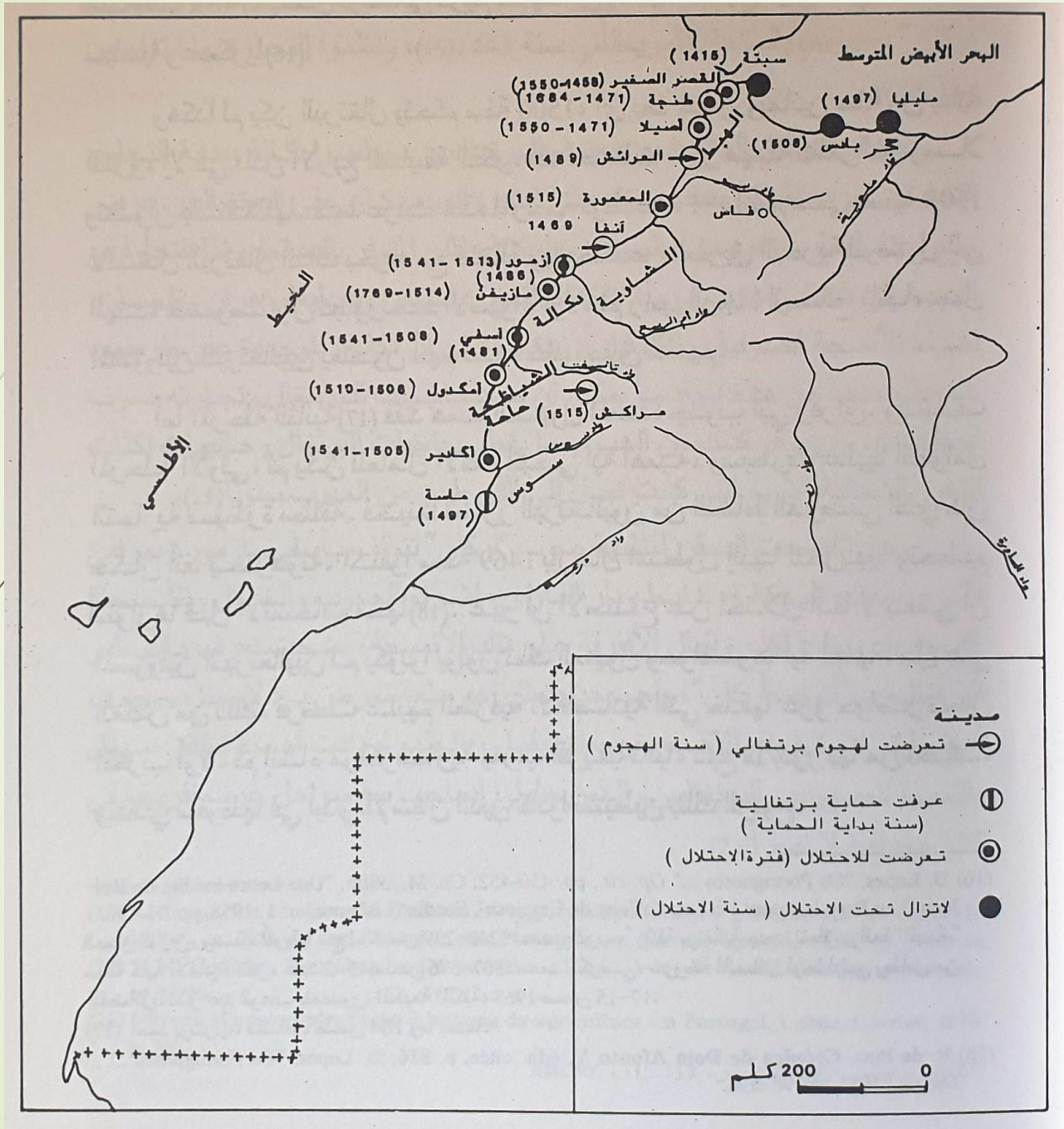

المصدر: أحمد بوشارب،
مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر ،
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1996،
ص. 23.

- تحالف البرتغاليين مع بعض زعماء القبائل وبعض العملاء الكبار لتسهيل مأمورية الغزو.
- عمليات الأسر المكثف للمغاربة:
  - يشير روزنبيرجي أن الحاميات العسكرية البرتغالية أسرت بمنطقة بني كرفط وحدها ما ينيف عن 5000 شخص.
  - أسر 567 شخص بدوار بضاحية رأس بدوزة إثر غارة سنة 1511م.
  - أسر 420 شخص على مشارف الحوز خلال غارة استهدفت المنطقة في فبراير من سنة 1514م.
  - أسر ما لا يقل عن ألفي شخص بالشاوية وحدها خلال سنتي 1518 – 1519م .
- أورد أحمد بوشارب اعتمادا على مصدرين برتغاليين أنه خلال الفترة الممتدة من 1495م إلى 1550م تم أسر حوالي 9287 شخص.

- إلى جانب أسرى الحرب اختطف البرتغاليون مئات الأسر أو الأشخاص العزل.
- حث بعض القباطنة البرتغاليين جنودهم والمتعاونين معهم من اليهود والمسلمين على اختطاف السكان وبيعهم لتجار الرقيق البرتغاليين.
- اللجوء إلى شراء اليد العاملة من المغاربة سواء من كانوا عبيدا أصلا أو اختطفوا وأسروا على يد افراد قبيلة معادية.
- تسبب المجاعة التي اجتاحت المغرب سنة 1521م في رواج حركة بيع البشر، حيث كان المغاربة يقبلون مجردين من سلاحهم لعرض أنفسهم على المسيحيين وبيع نسائهم وأبنائهم وأنفسهم بثمن بخص، أو بقليل من الطعام أو بالمجان أحيانا فقط لضمان البقاء أحياء.

- خطورة ووقع مجاعة 1521م يؤدي إلى تحركات بشرية هائلة من المغرب في اتجاه شبه الجزيرة الإيبيرية.
- كانت المراكب المخصصة لنقل سمك الشابل من أزمور تأتي لشحن ألاف المسلمين الذين ضحو بحريتهم مقابل سد رمقهم.
- حدوث هجرة جماعية اختيارية لمئات بل لآلاف الدكاليين الذين استأذنوا الملك البرتغالي في عبور البحر للالتحاق ببلاده فرارا من الجوع.

- نزوح وهجرة أناس آخرين من تلقاء أنفسهم تحت أكراهات تختلف عن الأسر والشراء منها:
  - فرار القتلة والسراق ومقترفي الجرائم من وجه العدالة إلى أحد الثغور المحتلة قبل عبورهم البحر ومن ثم الوصول إلى البرتغال.
  - اللجوء السياسي المرتبط بدخول السعديين مدينة فاس وبمعركة وادي المخازن، مما جعل جاليات مهمة من المغاربة تستقر بلشبونة .

- انعكاس ظروف الإقامة ببلاد المهجر على العلاقة بين مكونات الجالية المغربية.
- وجود جالية مغربية كبيرة بالبرتغال يحتمل أن يكون عدد أفرادها بين سنتي 1525 و1530م، وصل إلى حوالي مائة ألف شخص.
- وصول هذه الجاليات المهاجرة قسرا أو طواعية صادف فترة من التعصب والعداء للمسلمين، مما مهد لإنشاء محاكم التفتيش الدينية، بعد صدور القرار بالتنصير أو هجرة العودة.
- أغلب المسلمين الذين كانوا يملكون زمام أمورهم هاجروا إلى الشمال الإفريقي حفاظا على دينهم وأنفسهم.

خلاصة

- إسهام المتغيرات التي شهدها الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الحديثة في حدوث هجرات كثيفة من الضفة الجنوبية نحو الضفة الشمالية.
- وقوع هجرات ارتدادية للعودة نحو المغرب بعد التعصب الديني الذي عانى منه المهاجرون المغاربة بالبرتغال.
- نقل هؤلاء المهاجرين المغاربة العائدين للكثير من المؤثرات الأجنبية التي استمرت بعض معالمها إلى اليوم.

سفراء ورحالة وتجار بين البلد الأصلي والبلد المضيف

- السفر هو الانتقال من مكان إلى آخر وقطع المسافات.
- تأتي كلمة سفير لتعبر عن تنقل من أجل مهام رسمية.
- ارتبط مدلول الكلمة (سفير – Ambassadeur - Embajador) بواقع أوربا خلال الفترة الحديثة.
- أصبحت الكلمة مرتبطة بمؤسسات ديبلوماسية في الدول الأوروبية خلال العصر الحديث.

- الرحلة تعني مما تعنيه؛ الهجرة والانتقال والاستكشاف والسياحة .
- عُرفت منذ أقدم العصور ، حيث مكنت من ربط علاقات تجارية مع العوالم الخارجية .
- تعددت أسباب الرحلة:
  - الحج إلى البلاد المقدسة
  - السعي في طلب العلم
  - الشؤون السياسية والديبلوماسية
  - ممارسة التجارة
  - نشر الدين والدعوة إليه
  - الاستكشاف والتعرف على الآخر

- اتخاذ الهجرة لأشكال مختلفة :
  - السفر كنشاط اعتيادي، والسفارة كمهام ديبلوماسية.
  - الرحلة كفعل الغاية منه الاستكشاف من خلال الانتقال في المجال بين البلد الأصلي وبلدان أخرى.
  - التجارة كممارسة وكنشاط إنتاجي يحقق الربح المادي ويضمن التواصل بين الأفراد والجماعات.

العلاقات الديبلوماسية ونشاط التحركات السكانية

- فرض الانفتاح الذي عرفته العلاقات بين الكيانات السياسية بحوض البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الحديثة لعلاقات ديبلوماسية مكثفة.
- فتح قنوات الاتصال بين المغرب وغيره من الدول خلال هذه الفترة.
- نشاط التحركات المرتبطة بالمهام الديبلوماسية بين الدول.
- فتح المجال لتحركات سكانية اختيارية منظمة أو تلقائية.

اللجوء والنزوح والنفي كشكل من أشكال الهجرات والتحركات البشرية

- إسهام الظروف العامة بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، خلال المرحلة الحديثة، بشكل كبير في هجرات وتحركات بشرية كبيرة.
- الأزمات السياسية والكوارث الطبيعية تدفع للهجرة بذرائع مختلفة :
  - اللجوء هربا من بطش الحكام أو المعارضين في التوجه السياسي أو الفكري
  - النزوح خوفا من خطر يهدد البقاء على قيد الحياة
  - النفي بشكل اختياري أو إجباري تفاديا لعقوبة أو خضوعا وتنفيذا لها

خرائط توضيحية لهجرات عرفتها الفترة الحديثة ومستهل الفترة المعاصرة

الهجرات والتحركات البشرية منذ سنة 1500م

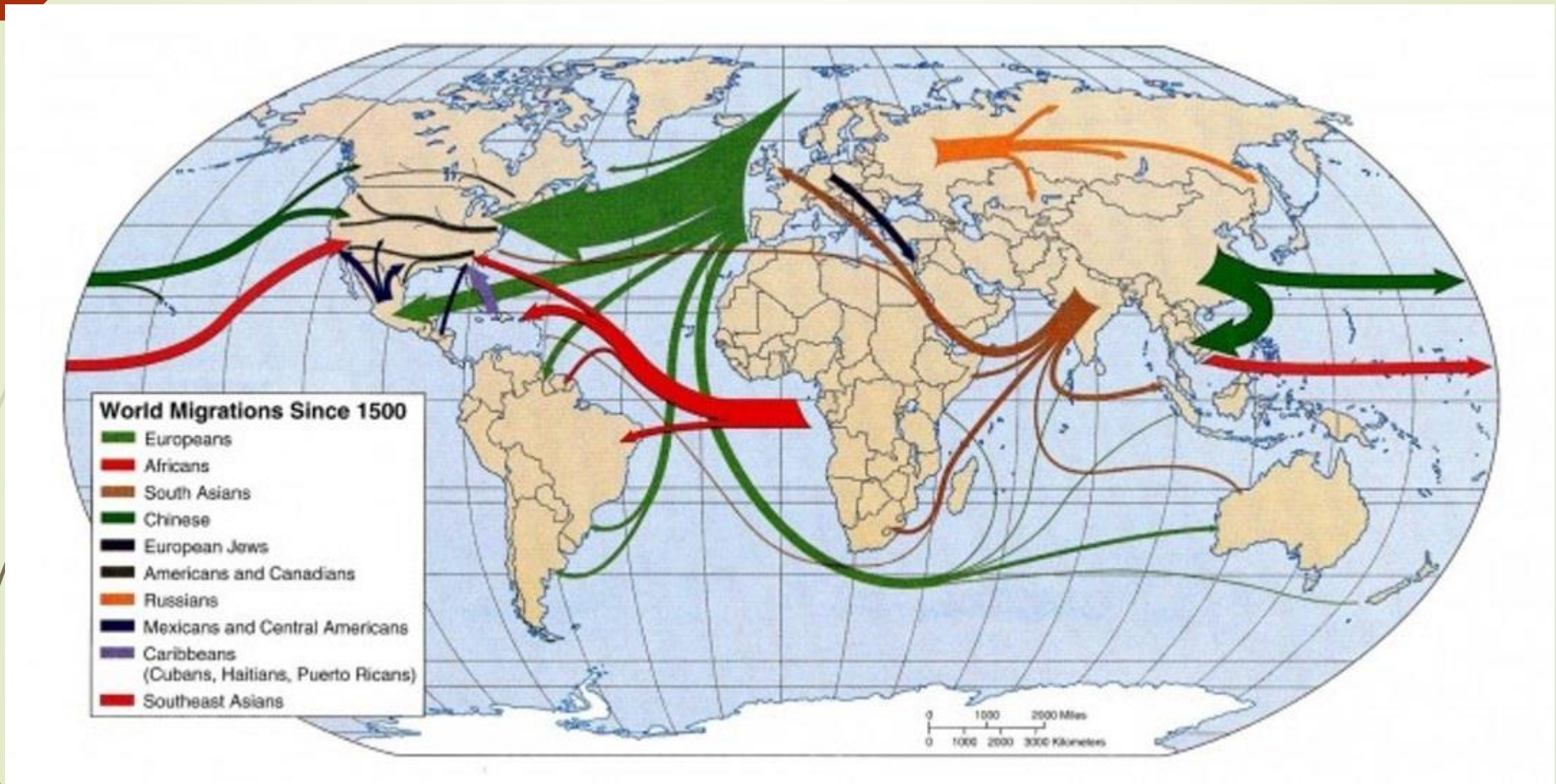

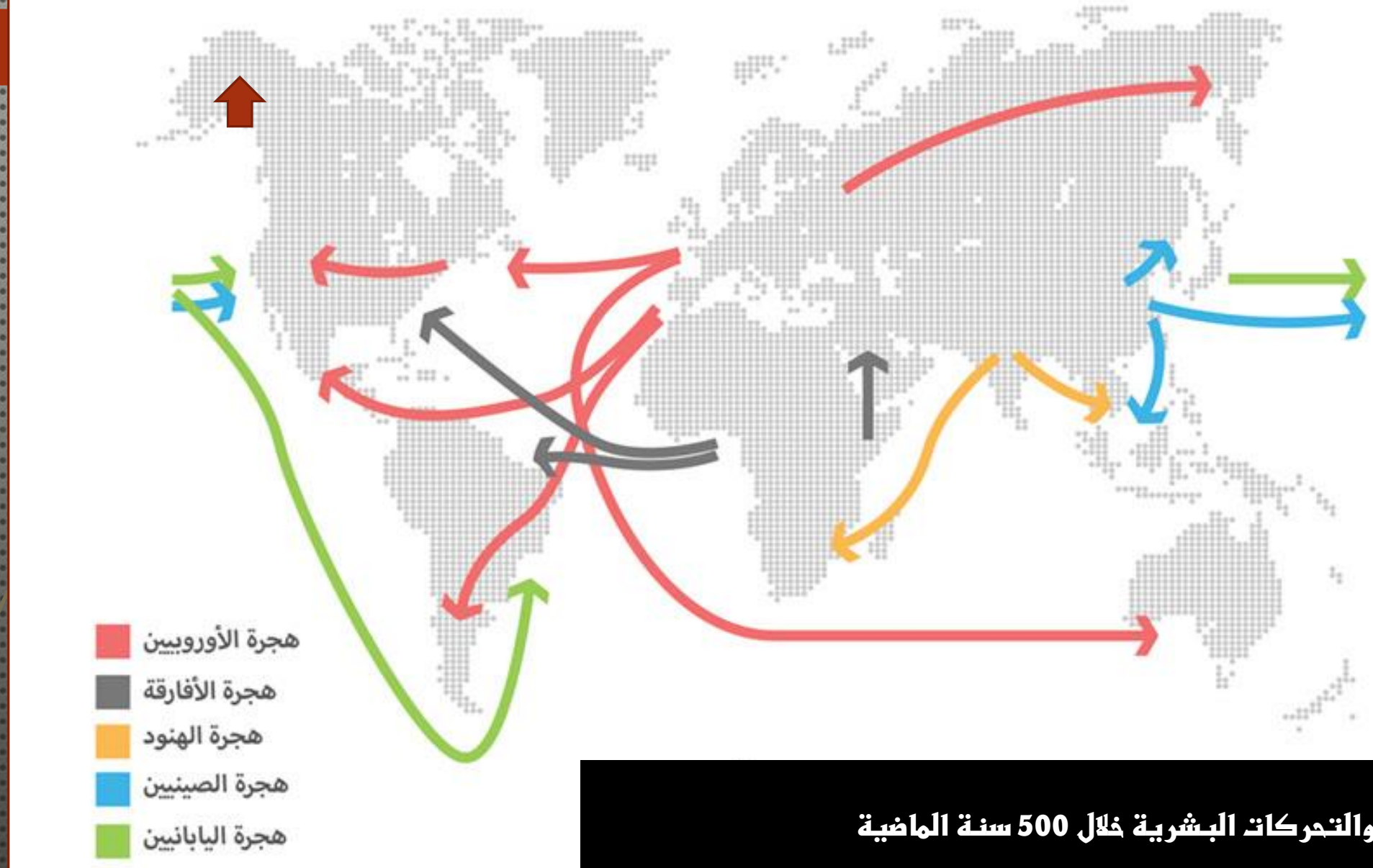

الهجرات والتحركات البشرية خلال 500 سنة الماضية

هجرات بشرية عالمية

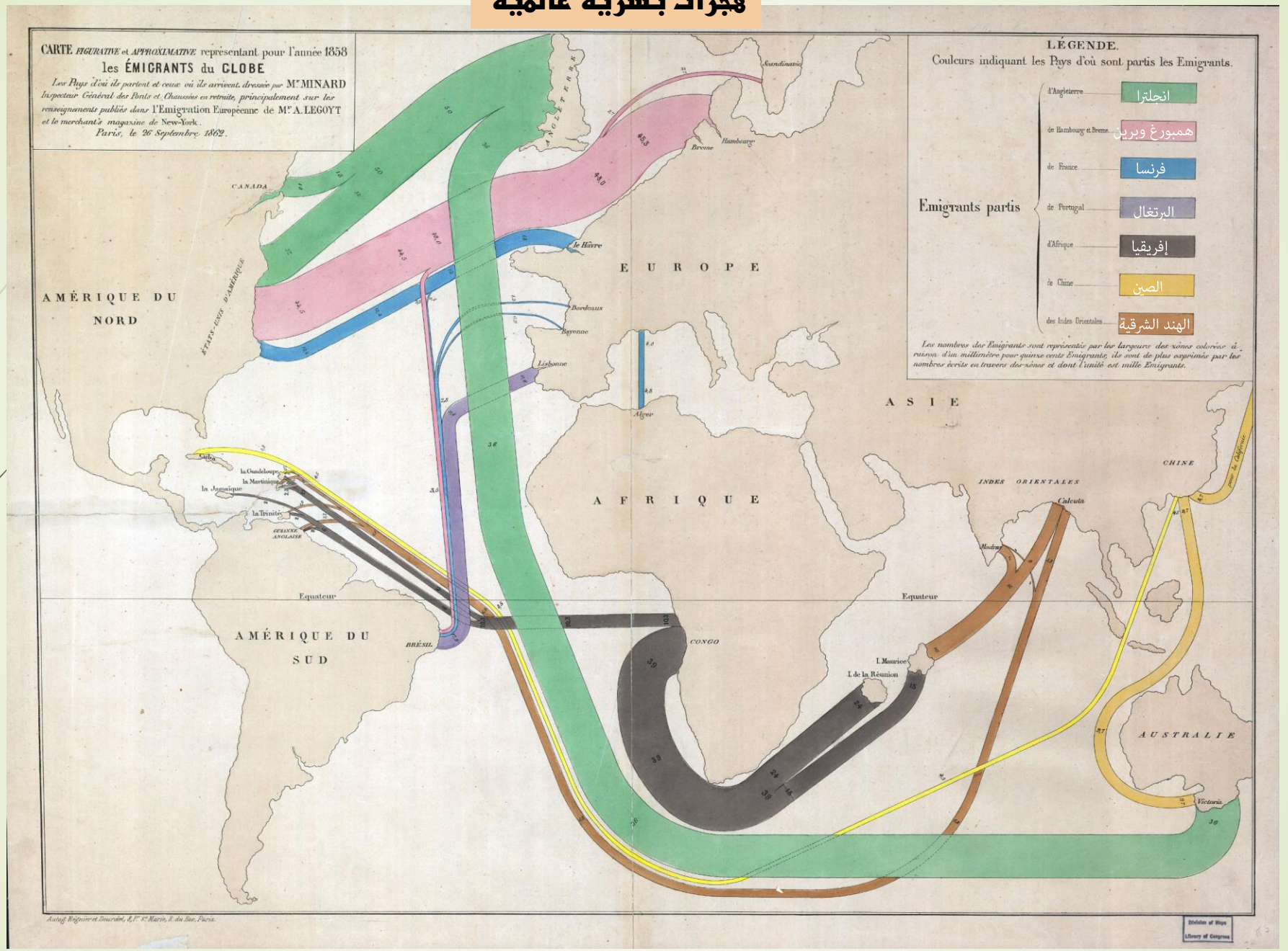

لائحة بيبليوغرافية للمزيد من الانفتاح على موضوع الوحدة

- أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، حققه وعلق عليه عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991.
- أبو سالم عبد الله العياشي، **الرحلة العياشية**، حققها وقدم لها سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي 2006.
- أحمد بوشارب، **شمال المغرب من خلال مصادر برتغالية 1415 – 1490م**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2016.
- أحمد بوشارب، **مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر، دراسة في الثقافة والذهنيات بالمغرب من خلال محاضر محاكم التفتيش الدينية البرتغالية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة أطروحات رقم 36، الرباط، 1996.
- أنطونيو دومينغيث أورتيث وبيرنارد فانسون، **تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية**، ترجمة محمد بن باية، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2013.
- جمال عبد الكريم، **الموريسكيون تاريخهم وأدبهم**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د. ت.)
- الحسن بن محمد الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1983.
- الحسين بوزينب، **الموريسكيون وقصبة الرباط**، وثائق تكشف جوانب تاريخية مجهولة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2011.
- عبد الرحمان بن زيدان، **العلائق السياسية للدولة العلوية**، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1999.

- عبد المجيد القدوري، **سفراء مغاربة في أوروبا 1610 – 1922**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 13، الرباط، 1995.
- غييرمو غوثالبيس بوستو، **الموريسكيون في المغرب**، ترجمة مروة محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
- فرناند بروديل، **المتوسط والعالم المتوسطي**، تعريب وإنجاز مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1993.
- مارمول كرفجال، **إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق وأحمد بنجلون. منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1984.
- مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، عيون المقالات، مراكش، 1994.
- محمد بن عبد الله الصفار، **رحلة السفار إلى فرنسا، (1845– 1846)**، حققها وقدم لها سوزان ميللر، عرب الدراسة وشارك في التحقيق خالد بن الصغير، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007.
- محمد بن عبد الوهاب الغساني، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير، سفير مغربي في مدريد في نهاية القرن السابع عشر**، تحقيق وتقديم عبد الرحيم بن حادة، منشورات معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وإفريقيا، طوكيو 2005.
- محمد بن عبد الوهاب المكناسي، **رحلة المكناسي (1785م)**، حققها وقدم لها محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.

- محمد ماكامان، **الرحلات المغربية، (ق. XII-XIهـ/ XVIII-XVIIم)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 72، الرباط 2014.
- مرثيديس غارسيا أرينال، **الموريسكيون الأندلسيون**، ترجمة جمال عبد الرحمان، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.
- **مغاربة أمام محكمة التفتيش البرتغالية، الهوية والثقافة والمعتقد**، تعريب أحمد بوشارب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص ووثائق رقم 9، الرباط، 2013.

- Emile Temime, « Mouvement de population dans le bassin méditerranéen », in **Confluences Méditerranéens** (Edition Maghreb), Eddif, 1995.
- Gabriel Mas, « HISTOIRE DES MIGRATIONS HUMAINES **», Cahiers de Village de Forez** , Collection Espace citoyen 2018.
- Mickaël Quintard, « Histoire des migrations internationales et des luttes contre les discriminations », Poitiers 2010-2011. **Compte-rendu du Cycle de conférence de l'Espace Mendès France**
- Pierre Alexandre, **Les Africains: Initiation à une longue histoire et à de vieilles civilisations, de l'aube de l'humanité au début de la colonisation**, Edition, Auzou, Paris, 1998
- Robert Montagne, **La Civilisation du Désert. Nomades d'Orient et d'Afrique**, Edition. Hachette, Paris, 1947.
- Zoubir Chattou, **Migrations marocaines en Europe, le paradoxe des itinéraires**, Edition. L'Harmattan, Paris, 1998.